الباب الخامس

الخلاصة

أ. الخلاصة

الصراع الداخلي في هذا الفيلم لا ينشأ فقط من العلاقات بين الأشخاص، بل أيضاً من الصراعات النفسية العميقة داخل الشخصيات نفسها. وفقاً للتحليل النفسي لسيغموند فرويد، فإن كل سلوك بشري يتحدد من خلال التفاعل بين الهياكل الثلاثة الرئيسية للشخصية — الهو، والأنا، والأنا العليا. وغالبًا ما يؤدي عدم التوازن بين هذه العناصر الثلاثة إلى توتر داخلي يتجلى في شكل ذنب أو خوف أو غضب أو ندم. وهذا النوع من الصراع الداخلي هو ما يمر به مجد وسمية طوال أحداث فيلم ألفية ٢٠٥٣.

١. شخصية مجد

الهو (Id):

يظهر هذا الجانب عندما يسيطر الغضب والعاطفة والدوافع الغريزية على مجد في رغبته في مقاومة النظام الذي خدعه. يدفعه «الهو» إلى تصرفات اندفاعية — مثل غضبه على دلال وصراخه عند وفاة ليلى — بوصفها تنفيسًا عن رغباتٍ دفينة مكبوتة في اللاوعي منذ زمن.

الأنا (Ego):

تتجلّى «الأنا» في شخصية مجد حين يبدأ بمحاولة التفكير بعقلانية ووضع خططٍ مدروسة. ففي بعض الحوارات، يحاول الموازنة بين رغبته في المقاومة وواقعه الذي يفرض عليه الحذر من أجل سلامته. تساعده «الأنا» على تحويل دوافع «الهو» العاطفية إلى أفعالٍ مدروسة، مثل قراره بأن يصبح "عينًا من الداخل" في صفوف المقاومة.

الأنا العليا (Superego):

يظهر هذا الجانب بوضوح بعد أن يكتشف مجد أنّ والده لم يكن خائنًا. فيشعر بالذنب وتأنيب الضمير، ويتحمّل مسؤوليةً أخلاقية عن موت أخته وأخطائه الماضية. في هذه المرحلة، تهيمن «الأنا العليا» على وعيه وتُولِّد معاناةً نفسيةً عميقة، فيغدو شخصيةً معذَّبة بين ضميره وشعوره بالذنب.

وبذلك يمكن القول إنّ الصراع الداخلي عند مجد ناتج عن تصادمٍ بين الدوافع اللاواعية (الهو)، والوعي العقلي (الأنا)، والقيم الأخلاقية (الأنا العليا) التي تتصارع داخله طوال مسيرته الحياتية.

٢. شخصية سمية

الهو (Id):

يتجلّى «الهو» عند سمية في رغبتها الداخلية في التحرر، واختيار الحب بإرادتها، ورفض القيود الاجتماعية. يظهر هذا الصراع في توترها العاطفي أمام قرار والدها الذي أرغمها على الزواج من إسماعيل.

الأنا (Ego):

تعمل «الأنا» عندما تحاول سمية التكيّف مع الواقع الاجتماعي الذي يقيّدها. فهي تدرك أن المواجهة الصريحة قد تزيد الأمور سوءًا، فتختار التصرف بعقلانية — تكبح انفعالها، وتتحلى بالهدوء، وتحافظ على التوازن لتجنّب الصدام الأسري.

الأنا العليا (Superego):

يعمل «الأنا العليا» بقوة من خلال القيم الأخلاقية والدينية والثقافة الأبوية التي تجعلها تشعر بواجب احترام والدها. هذا الوازع الأخلاقي يقمع رغباتها الشخصية، فتختار الصمت والطاعة رغم رفضها الداخلي. إنّ طاعتها ليست ضعفًا، بل تضحيةً أخلاقيةً للحفاظ على كرامة العائلة.

وعلى هذا، فإنّ الصراع الداخلي لسمية يُعبّر عن صراعٍ بين الرغبة الشخصية (الهو)، والوعي الواقعي (الأنا)، والواجب الأخلاقي (الأنا العليا) ضمن نظامٍ اجتماعيٍّ يقيّد حرية المرأة.

٣. أسباب الصراع الداخلي

إلى جانب الصراع بين مكوّنات الشخصية الثلاثة، تُظهر نتائج التحليل أنّ الصراع الداخلي لدى الشخصيتين يتأثّر بعوامل نفسيةٍ أوسع، وفقًا لعددٍ من النظريات في التحليل النفسي وعلم النفس الحديث، وهي: نظرية العدوان، نظرية الفقدان، نظرية الشخصية، النظرية المعرفية، نظرية العجز، ونظرية السلوك.

في شخصية مجد: يظهر الصراع الداخلي نتيجةً لكبت العواطف الذي يولّد دافعًا عدوانيًا وشعورًا بفقدان معنى الحياة. كما يعاني من العجز بعد اكتشافه أنه لم يكن سوى أداة في يد نظامٍ فاسد. وهذا يتوافق مع نظريات العدوان، والفقدان، والشخصية، والعجز التي تفسّر كيف تؤدي الضغوط النفسية إلى فقدان الإنسان لاتزانه وسيطرته على ذاته.

في شخصية سمية: ينشأ الصراع الداخلي نتيجة الضغوط الاجتماعية والثقافية الأبوية التي تكبح حريتها. فهي تكبت غضبها وخيبتها لتجنب النزاع، مما يتفق مع نظريتي السلوك والعجز. كما أنّ شعورها بفقدان معنى الحياة واستقلالها الذاتي يُجسّد نظرية الفقدان.

وبناءً على ذلك، فإنّ الصراع الداخلي لدى كلتا الشخصيتين لا ينشأ فقط من العوامل النفسية الداخلية (الهو، الأنا، الأنا العليا)، بل كذلك من العوامل الخارجية كالقوة، والثقافة، والبيئة الاجتماعية القمعية.

وبصورةٍ عامة، تُظهر الشخصيتان مجد وسمية أنّ الصراع الداخلي لدى الإنسان لا ينتج عن الضغوط الخارجية فحسب، بل أيضًا عن الصراع الداخلي بين الغريزة والعقل والضمير. ومن خلال هذا التحليل، استطاع فيلم "ألفيا ٢٠٥٣" أن يصوّر أنّ النضال الحقيقي للإنسان ليس فقط ضدّ القمع الخارجي، بل ضدّ الفوضى النفسية في أعماقه.

ب. الإقتراحات

١) يُنصح للباحثين المستقبليين بتوسيع نطاق الدراسة ليشمل مقاربة مقارنة بين أليفيا ٢٠٥٣ وأفلام عربية أخرى تحمل قضايا مشابهة، مثل الحرية والهوية والعدالة الاجتماعية.

٢) يمكن تطبيق مناهج أخرى، مثل التحليل السيميائي أو النقد الاجتماعي، إلى جانب المنهج النفسي الأدبي، لفهم الرموز والأبعاد السياسية بشكل أعمق.

٣) من المفيد أيضًا دراسة شخصية سُمَيَّة من منظور الجندر (النوع الاجتماعي) لفهم كيفية تمثيل المرأة في السينما العربية الثورية.

٤) يُنصح بترجمة هذا الفيلم ودراسته في الجامعات كمرجع ثقافي وسياسي، لما يحتويه من أبعاد فكرية وإنسانية عميقة.

٥) للدارسين في الأدب العربي الحديث، يُعتبر هذا الفيلم نموذجًا ممتازًا لدراسة تفاعل الأدب والسينما والواقع السياسي في العالم العربي.